صفر من السنة واقام بها الى شهر ربيع الاول من السنة ثم خرج الى شقيف ارنون وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشر شهر ربيع الاول واقام اياما يباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف انه لا طاقة له به نزل اليه بنفسه فلم يشعر به الا وهو قائم على باب خيمته فاذن له في دخوله اليه واكرمه واحترمه وكان من اكابر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شي من التواريخ والاحاديث وكان حسن التاني لما حضر بين يدي السلطان واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم اليه المكان من غير تعب واشترط ان يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا بدمشق يقوم به وباهله وشروطا غير ذلك فاجابه الى ذلك وفي اثناء شهر ربيع الاول وصل الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد اقام عليها جمعا يحاصرونه مدة سنة كاملة الى ان نفدت ازواد من كان فيه فسلموه بالامان وظهر للسلطان بعد ذلك ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم بلغه ان الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين وفي ذلك اليوم سير السلطان صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة واتى عكا ودخلها لتقوى قلوب من بها وسير لاستدعاء العساكر من كل ناحية فجاءت وكان العدو مقدار الفي فارس وثلثين الف راجل ثم تكاثر الفرنج واستفحل امرهم واحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل اليها و[يخرج] وذلك يوم الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق اليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الامراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فاشرف على امورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة ايام وتاخر الناس الى تل العياضية وهو مشرف على عكا وفي هذه المنزلة توفي الامير حسام الدين طمان المقدم ذكره في هذه الترجمة وذلك ليلة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في ذكرها وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها اذ ليس الغرض سوى المقاصد لا غير وانما ذكرت فتوحات هذه الحصون لان الحاجة قد تدعو الى الوقوف على تواريخها مع اني لم اذكر الا ما يكثر التطلع الى الوقوف عليه واضربت عن الباقي قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له ان الوخم قد عظم بمرج عكا وان الموت قد فشا في الطائفتين

اقتلاني ومالكا ... واقتلا مالكا معي

وقد قيل ان الكامل تعبير بنين لان الله تعلقا اتلف ان اعلاه قلت وهذا البيت له سبب يحتاج الى شرح وذلك ان مالك بن الحرث المعروف بالاشتر النخعي كان من الشجعان الابطال المشهورين وهو من خواص اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه تماسك في يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان ايضا من الابطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عايشة ام المومنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم كانوا يحاربون عليا رضي الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب عليه وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير ينشد اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي يريد الاشتر النخعي هذه خلاصة المقصود في ذلك وان كانت القصة طويلة وهي في التواريخ مبسوطة وقال عبد الله بن الزبير لقيت الاشتر النخعي يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني ستا او سبعا ثم اخذ برجلي فالقاني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلعم ما اجتمع منك عضو الى عضو ابدا وقال ابن ابي شيبة اعطت عايشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن

الزبير

الزبير لما لاقى الاشتر عشرة الاف درهم وقيل ايضا ان الاشتر دخل على عايشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا اشتر انت الذي اردت قتل ابن اختي يوم الوقعة قال فانشدها

اعايش لولا انني كنت طاويا ... ثلثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه ... باخر صوت اقتلوني ومالكا
فنجاه مني اكله وشبابه ... وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال دحو بن قيس دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فاذا براسه ضربة لو صبت فيها قارورة من دهن لاستقر فقال لي اتدري من ضربني هذه الضربة قلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعي رجعنا الى ما كنا فيه قال ابن شداد ثم ان الفرنج جاءتهم الامداد من داخل البحر واستظهروا على حماة الاسلام وكان فيهم الامير سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب الهكاري والامير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي وضايقوهم اشد مضايقة الى ان غلبوا عن حفظ البلد عنوة ضربت رقابهم وانهم صالحوا على ان يسلموا البلد وجميع ما فيه من الالات والعدة والاسلحة والمراكب ومايتي الف دينار وخمسماية اسير مجاهيل وماية اسير معينين من جهتهم وصليب الصلبوت على ان يخرجوا بانفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لانه كان الواسطة في هذا الامر اربعة الاف دينار ولما وقف السلطان على الكتب المشار اليها انكر ذلك انكارا عظيما وعظم عليه هذا الامر وجمع اهل الراي من اكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت اراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على ان يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو متردد في هذا ولم يشعر الا وقد ارتفعت اعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سور البلد وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة من السنة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ووقع فيهم الصياح والعويل والبكا والنحيب ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان لياخذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره في قبالتهم الى ان وصلوا الى ارسوف فكان بينهما قتال عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من مسيرهم من عكا فاتى السلطان الرملة واتاه من اخبره بان القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والالات فاحضر السلطان ارباب مشورته وشاورهم في امر عسقلان وهل الصواب خرابها ام بقاؤها فاتفقت اراؤهم ان يبقى الملك العادل في قبالة العدو ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفا ان يصل العدو اليها ويستولي عليها وهي عامرة وياخذ بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا وراوا ان حفظ القدس اولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلثا سابع عشر شعبان من سنة سبع وثمانين وخمسماية فسار اليها سحر يوم الاربعا ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معي في معنى خرابها بعد ان تحدث مع ولده الملك الافضل في امرها ايضا ثم قال لان افقد ولدي جميعهم احب الي من ان اهدم منها حجرا ولكن اذا قضى الله تعالى ذلك وفيه مصلحة المسلمين فما الحيلة في ذلك قال ولما اتفق الراي على خرابها اوقع الله تعالى في نفسه ذلك وان المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع في خرابها سحر يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم على الناس السور وجعل لكل طايفة من العسكر